



مجلة التربية للعلوم الإنسانية

مجلة علمية فصلية محكمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل



الكينونة والوجود في مقدمة دالية ابن الرومي (أبين ضلوعي)

غانم صالح سلطان² ID

ماجدة عجيل صالح¹ ID

جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية / الموصل - العراق^{1, 2}

الملخص

معلومات الارشفة

يعاني الشاعر من الوعي والادراك اللازمين في توصيف معاناته اللامتناهية ويحاول في الوقت ذاته تقديم رؤاة الإبداعية وتشكيل هويته المستقلة، وعلى وفق ذلك كان عليه أن يكون الأقدر في التعمق بكينونته ووجوده الانساني ، منشغلاً فكرياً وفتياً في البحث في دواخله عما يحقق له جواباً لذلك التشظي القائم على فكرة الوجود متزامنة مع شعرية ذلك النص وفرادته، فكان حالماً في ذلك التوصيف وعاجزاً أحياناً عن فهم أغواره ، لكنه طالما أبدى الرغبة في التعبير عن ذلك الشعور المتزاحم واضطرابه، فتحقق في صوغ النص وفكره على أن إحالته تبقى غامضة لا يمكن إدراكها كما أحسها الشاعر في أصلها ، ليظل النص الغائر في ذلك الوجود وكينونته متعدد القراءات وغير مدرك لكثير من المتلقين	تاريخ الاستلام : 2025/10/25 تاريخ المراجعة : 2026/1/15 تاريخ القبول : 2026/1/15 تاريخ النشر : 2026/6/22
	الكلمات المفتاحية : الكينونة، الوجود، ابن الرومي، الذات، النص
	معلومات الاتصال ماجدة عجيل

majidamajida382@uomosul.edu.iq

DOI: *****,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.

This is an open access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).



Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul



Being and Existence in the introduction to Poem of Dalia

Ibn al-Rumi Abin Dhului

Majida Ajeel Saleh  ¹

Ghanem Saleh Sultan  ²

University of Mosul / College of Education for Humanities / Department of Arabic

Language / Mosul - Iraq ^{1,2}

Article information

Received : 25/10/2025

Revised 15/1/2026

Accepted : 15/1/2026

Published 22/6/2026

Keywords:

Being, Existence, Ibn al-Rumi, Self, Text

Correspondence:

Majida Ajeel

majidamajida382@uomosul.edu.iq

Abstract

The poet suffers in the rugged and the unforgiving hips in describing his endless suffering and tries at the same time to present his creative visions: his independent identity, and accordingly he had to be the most capable in delving into his being, his human existence, occupying his mind and buried in searching within him for what would achieve an answer for him for that gloating based on the idea of existence luxurious with the poetics of that text - its uniqueness and he was a dreamer in that description and sometimes unable to understand its depths, but unjustly he expressed the desire to change from that compassionate feeling and its disturbance is realized in the formulation of the text and his thought, although his reference remains ambiguous and cannot be understood as the poet considered it in its origin, so that the text remains immersed in that promise as a tone with multiple readings and is not understood by many recipients.

DOI: *****, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.

This is an open access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).

مدخل

كشف الشاعر في مواضع كثيرة من النص، حقيقة الصراع النفسي الذي يعانیه محاولاً إظهار ذلك عبر النص، ومع محاولته تجريد عقله والانغماس في حياته الوجدانية، يأتي ما هو مثير ومعقد ينبه تلك الذات الحاملة إلى اتجاه معاكس وهو التعمق في الوجود وكيونته، فيحضر أحياناً المنطق وعقلنة الرؤية لما يحيط وما هو ذاتي كذلك، وكان ابن الرومي من أولئك الشعراء الذين تعمقوا ملياً في نواتهم، وانغمروا في ظلام ذلك الوجود الذي هو حياة بالنسبة لغيرهم، فانسحبوا إلى فلسفة عقلية وذاتية في الآن ذاته، ومحورها الأبرز هو الزمن وتقادمه، فبحث الشاعر في كينونة وجوده وأين هو من هذا كله، فبدا في نصه غارقاً في الازدواجية متمعناً في تفاصيلها، مستذكراً ماضيه، متمرداً على حاضره، ولا حيلة له الا استدعاء الذكريات التي يناله منها الحيرة والتوجع، لاسيما ان كان جميلاً صاخباً بالحركة والألفة.

والكينونة التي نجدها عند ابن الرومي هي الولادة التي تعطي الحياة للشاعر والممثلة بالماضي طبعاً، والانغماس في تفاصيله الإيجابية تحديداً، وكأن ذلك الماضي هو الحياة التي عاشها الشاعر، فيما تعزز الوجود بالحالة الحقيقية للوغوس، وعقلنة الأشياء التي يعيشها توأ واقعاً، فيعاني ثقل ذلك الوجود والعجز أمامه والوجود مصدر وجد الشيء يطلق على الذات وعلى الكون في الأعيان (الحنفي، 2000)، أما الكينونة فهي: الوعي لذاتها وهي وجود في العالم ومع وجود الانسان المحكوم بالحرية والوقائعية (سارتر، 2009)، وقام البحث على محورين نجد فيهما الكينونة والوجود في نص ابن الرومي الذي اكتنز بشبكة من الإشارات المتداخلة، والتي قدمت حياة تقع في مشاكلة غير مقصودة لكنها فرضت حالها على الشاعر عامة.

المبحث الأول :

الانتماء/اختراق الزمن الوجودي:

يطمح الشاعر إلى تحقيق وجوده، وتأسيس كينونته، لكنه غالباً ما يتكئ على فعل الابداع ومناوراته اللامتناهية، فلا يمكن تأسيس فعل الكينونة إلا في ذلك اللعب باللغة وتشفيرها بمعجمه المنقرد عامة، ولعل ذلك ما يمنحه عوالم غير مشروطة بواقعية السلطة، وأيديولوجيا الحكمة فستجيب له اللغة، وتصبح مطواعاً لرؤاه العميقة، فتارة ترند إلى ما مضى وتارة تبقى في واقعها، وتارة ترند وتتزامن عن طريق المقابلة أو التضاد، وتأتي معه اللغة بأدواتها كلها، ومن ذلك مقدمة دالية ابن الرومي التي تأسست على ركائز فكرية وثوابت فلسفية أحياناً، وأقتنصها الشاعر من ثقافته ومن تجربته، وإذ يحضر الموت بوصفه سلطة لا مفر منها، هذا هو هاجس الشاعر الذي انتصر عليه وغلبه، فأخذ منه عائلته واحداً تلو الآخر، ولا سبيل لمنعه الا الشكوى والتأمل في حال هذا الوجود، ولعل استدعاء الذكريات هو أحد إرهاصات ذلك الضعف والانكسار من جهة، و مواجهة الموت من جهة أخرى، وفي ذلك يقول (ابن الرومي، 2002) في مقدمة قصيدته

أبين ضلوعي جمرة تتوقد	على ما مضى أم حسرة تتجدد؟
خليلي ما بعد الشباب	يجم لها ماء الشؤون ويعتد
فلا تحيا إن فاض دمع لفقده	فقل له بحر من الدمع يثمد
ولا تعجبا للجلد يبلي لربما	تقطر عن عين من الماء جلمد
شباب الفتى مجلوده وعزاه	فكيف وأنى بعده يتجلد

يطرح ابن الرومي معانيه الشعرية على وفق مستويات متنوعة، يأتي التصور الفلسفي أبرزها، والذي غالبا ما يحاول التوجه به نحو التماسك أو استبعاد التناقض الذي مهما حاول الشاعر تجاوزه وقع فيه، فبدأ الشاعر بمقدمة تأملية وجدانية لم تلتف إلى طلل أو طبيعة، بل بدأ نصه برؤية ذاته وتعمق فيها، ومع ما زخرت به من إشارات غامضة، إلا أن الشاعر حاول تجميع ذلك بجماليات سؤال عجز عن إجابته، والذي تحقق فعله وانتهى، فتتسع الرؤية، وتضيق الدلالات، وهو يحدد المعطيات الشعرية والمعنوية في ثورة حسية واحدة وهي القلب، الذي تردد ما بين حسرة وأمل، فأخذ بالنص نحو عوالم لا لايتنهاية لها، ولعل توظيف السؤال في مطلع القصيدة جعل منها عتبة دلالية محتشدة بالإشارات التي أزرت حركية المعنى حتى رفعت به إلى الأمام، لاسيما في تتبع الجواب وتشكيل مستوى دلالي يوازي دلالة السؤال ومحموله الفكري، ويأخذ السؤال منحى فلسفياً وجمالياً في الآن ذاته، وعادة ما ارتبطت تمثلات السؤال بمضامين فلسفية في المنجر الشعري عامة، لأنها بدت انعكاساً لواقع سوسولوجي وتطلعات واقعية؛ لأن الشاعر لا ينفصل عن واقعه، بل يكون راصداً لذلك الواقع باحثاً في سؤاله عن الذات والخروج من دائرة التشظي، وهو نتاج اللغة التي تسكننا ونسكنها، (الموسوي، 2022). يأتي التحول إلى واقع الشاعر الذي طالما أراد الانسلاخ منه هذا هو محور الضجيج كله، فتلاحقت الدلالات وكأنها تحاول تفادي التشنت والضياع والامسك بما يمكن إدراكه من ذلك الزمن الأقل، إذ تراكمت الدلالات استجابة لحالة الشاعر الوجدانية في استعادته لذكريات الشباب، فبلغت التجربة ذروتها، لاسيما بعد تدارك المعية والانتكاء على عنصر آخر يواكب خط الشاعر ورؤيته عامة وذلك بقوله: "خليلي" اللذان يشاركان الشاعر همّه، بوصفهما أقدر الناس فهماً وإدراكاً لحالة الشاعر، وطوفان مشاعره الانية، وحتى الانتماء الذي بدا مقتصرأ على ذلك الزمن في قوله: "ما بعد الشباب رزية".

فتشكل هذه أشبه بلازمة تلاحق النص والشاعر في تولد علاقات جديدة تتقابل فيما بينها، إذ تسير الأولى بمثالية يعتقدتها الشاعر دون أية انكسارات، فيها يأتي الطرف المقابل مثقلا بأحمال السلبية والانهمام؛ ولعل بؤرة الاستقطاب تكمن في هذا التقابل "فالرزية" هي التي قابلت "ماء الشؤون" والرزية قد وقعت، وقابل ذلك التحسر والبكاء؛ وعلى وفق ذلك جاء تحول الدلالات واختراق الزمن والارتداد اليه بحياة أشبه ما تكون مثالية عند الشاعر ومتكاملة. وافتعال ذلك التقابل يأتي من أركولوجيا نفسية وثقافية وفلسفية تدفع بالشاعر إلى

الارتداد عن ذلك الواقع الذي تسلط بكينونته على الشاعر، ولا يكثرث لذلك الانسان الذي يشكو حاله وقلقه بتشكيل فني يضم الكثير في دواخله، لاسيما وهي يجد فيه واجهة حسية للموت، الذي طالما شرح الشعراء العرب كينونته، وفصلوا فيما عادله من عناصر دنيوية، فربطوا الطلل بالموت والفرق بالموت والحب بالموت، مع اعتبارات دينية وعقائدية، لكنهم ظلوا متوجسين من ذلك العنصر الذي يقع لا محالة، مع محاولة تجاهل ما وراثية ذلك على واقعهم وحياتهم كافة. واذ يحفل النص بدلالات شكلت منظومة تعبيرية مكتنزة بالقوة والحركة والتجلد أمام الضعف والانكسار:

تتوقد	تتجدد
يجم	يُعتد
فاض دمع	يُثمد
بحر من الدمع	الجلد
مجلوده	جلمد
وعزاؤه	

وإذا تعمد الشاعر تهميش عدد من اللحظات الشعورية التي تجاوزها في واقعه، الا أن الضعف والانكسار بدا واضحا في النص، إذ تزاخمت الدلالات بين توصيف لحال أمام حال آخر، ويقع في ذلك اضطراب الذات التي بدت عاجزة عن الأمرين، ولعل اقتناص اللحظات الهاربة يعد أساس الهوية البديلة التي يجدها الشاعر معادلاً نفسياً لحالات القهر والاضطهاد فيؤسس للانفصام والاتواصل بين النسق المعاكس المتجذر في الوعي العقلي لديه وبين النسق الجمعي المؤسّط بسياج القيم والأنساق الثقافية التي طالما رفضها الشاعر وتمرد عليها (ويلسون، 2004) وفي لوحة شعرية أخرى يقول الشاعر (ابن الرومي، 2002):

سُلبت سواد العارضين، وقبله	بياضهما المحمود إذ انا أمرد
وبدلت من ذاك البياض وحسنه	بياضا ذميما لا يزل يسود
لشتان مابين البياضين معجب	أنيق، ومشوء إلى العين أنكدُ
تضاحك في افنان رأسي ولحيتي	وأقبح ضحاكين أشيب وأرد
وكنت جلاء للعيون من القذى	فقد جعلت تقذي بشيء وترقد

اكتنز المحمول الفكري الذي تتابع في القصيدة بالمفاهيم المتجذرة عند الشاعر عن موضوعة "الشباب و الشيب" و ارتكز فيه الشاعر على تقابل دلالي مع تضايف للحسي والمعنوي على حد سواء، فاستجمع الشاعر

كينونته ووجوده، فقدم دلالة البياض الذي تردد في النص في سياقات متباينة بوصفه شحنة رمزية أوغلت في النص إلى أعماق بعيدة، فالاستلاب جاء من فقد السواد الذي جاء بوصفه رمزاً للشباب وحيويته، فيما جاء الاستلاب من فقدانه والتحول إلى البياض الذي هو لازم وجودي (زمني) يتزاحم مع الإنسان وعمره، ولا يمكن تجاوزه، وقد أعطت تلك الدلالات تشظيً للذات ومعنوياتها التي تأزمت مع مغادرة ذلك الشباب وتسلبت البياض الذي غادر دلالة الصفاء والنقاء والولادة إلى الموت، والضعف والعجز، وهذا يعبر عن قلق وجودي لا مناص من تجاوزه، ولعل التكثيف الدلالي الذي تلاحق مع دلالات البياض في عدد من التراكيب التي قد تحول ذلك الواقع إلى عبثية وإحساس بزمن يمضي دون أية حياة أو حركة أو أمل في مجارته، ومن تلك التراكيب:

بياضهما المحمود

بدلت من ذلك البياض

بياض ذميما

لشتان ما بين البياضين

إذ أقام الشاعر أبنيته الدلالية على وفق رؤية وجودية مختزلة لرؤى الكون كله وساعيا في ذلك كله لتأسيس فعل الكينونة الحاضرة في التباين والتناقض الذي قدمه ذلك البياض، فبين فعل محمود ومذموم إرتأى الشاعر الخوض في تلك المحاجة الوجودية، تأكيدا على مشروعية رؤيته في جذبه لذلك الماضي، واختراق الحاضر ونبذه أو تجاهله، فلا مجال للانتظار بل هناك محاولة لاسترجاع ذلك الماضي وإحيائه بعد ذلك الاسترجاع، ومع هذا التحول الذي يطول ويقصر بحسب حال الشاعر ومزاجه، فإن رؤيته لماضيه وواقعه سيجتاز فيها مع ما يريد اجتيازه من مراحل يطويها ولا يريد استنكارها أو معاشتها، وقد يعيش مرحلة الدهشة ثم الأسف ثم الإقرار بالواقع (الفخري، 1992)، وهذا هو جوهر الوجود الذي طالما ارتكز على التواصل مع المحيط حتى وإن كان للإنسان رأي مغاير، ولأن النص كينونته قائمة بذاتها معنى ومبنى فهو طريقة وجودية لرؤية العالم ومن فيه، وفي ذلك أسهل سبل المعرفة الثرية التي تسعى للوصول إلى الأعماق، أما اللغة فهي تظهر بوصفها أداة لها فاعلية الحياة والتجدد وأهلية الوجود، فلا تغادر اللغة عنصرها بل تبقى ملتحمة به ومقاومة لأشكال الافول كلها والتي تخضع لرغبات الإنسان ونوازعه (هايدغر، 2015)، وإذ يترأى لابن الرومي أن ما يعبر عنه ويتعمق في توصيفه هو عمق الوجود وصلب كينونته فاكتنزت الدلالات بتماسكها التركيبي والمنطقي إذ التداخل الفعّال بين الحسي والمعنوي حتى الوصول إلى ما يسعف الذات من تبريرات قدمتها وهي تستقصي ما يمكن لها من عالم الماضي المعيش، ومن ذلك جاء توظيف المفارقة في عدد من التراكيب في قوله: (سواد العارضين وبياضها، تضاحك في أفنان رأسي، واقبح ضحاكين، شيب وأرد).¹

إذ تقدم هذه الدلالات بؤرة واحدة هي الرهان على ذلك الزمن الذي تزاخمت فيه دلالات الوجود ومعطياته، والشاعر بتلك العلاقات المجازية والرؤى والتصورات يأتي بحجب أي مظهر من مظاهر الحياة التي يعيشها في واقعه، موسساً لذاكرته الثقافية والابداعية بوصفه جزءاً لا يتجزأ من المنظومة الجمالية بشكل عام، وفي تحديثه لتلك الذكريات في استرجاعها، وزمن التحولات لا ينقطع من ذلك الماضي ولا يسقطه بل يبقى معلقاً على جدران الذاكرة يستنقز الشاعر بتفاصيله حتى يعطيه حافزاً لبناء مستقبل جديد يتوالد باستمرار (عسال، 2014)، فهذا التوالد ينسحب إلى اللغة التي قد تتجرد من دلالتها المعجمية لتحرر إلى عوالم وجودية أخرى يسوقها الشاعر متباينة الأنساق والدلالات، وهذا ما افتعله ابن الرومي الذي ضاعف من الحسية التي أدركها بلغته ووعيه الجمالي بما يحيط به، فالتفت إلى تفاصيل زمنه العابر والحاضر على حد سواء واتضحت الرؤى والدلالات على وفق نسق وجودي اكتنز بالحياة والموت على حد سواء.

وفي لوحة أخرى يحاول ابن الرومي كسر حواجز طالما تراكمت في حياته، تجمعت من عوارض نفسية وتأثيرات خارجية، وعليه حاول تعميم تجربته عن طريق محاكاة فاعلة استقصى فيها الشاعر مقومات حسية واضحة، إذ يقول الشاعر: (ابن الرومي، 2002)

مواقعها في القلب، والرأس	هي الأعين النجل التي كنت تشكي
وقد جعلت مرمى سواك تعمد	فمالك تأسى الان لما رأيتها
وتأسى إذا نكبت عنك وتكمد	تشكي اذا ما اقصدتك سهامها
ومن صدفت عنه من القوم مقصد	كذلك تلك النبل من وقعت به
كموقعها في القلب بل هو أجهد	إذا عدلت عنا وجدنا عدو لها

تتماسك البنية الجمالية التي اخترق فيها الشاعر الزمن الوجودي بتجميع عدد من الاشارات التي يرتكز عليها النص، لاسيما في محاولة النقاط ما هو حسي، مؤصلاً لرؤيته في لملمة أبعاد مشتتة، والوعي المطلق بتأثيرها وتحديداً عناصر الوجود فاستدعى دلالات: الأعين، النجل، القلب، والرأس التي ارتبطت بالشباب وأيامه، وعامة كان للشعراء مع الشيب والشباب أحوال مختلفة ومواقف متباينة، ومن ذلك ما يمنحه الشباب من لهو وقوة، وظفر بالأحلام، لكنها نعمة، لاتدم طويلاً، ومن رأى عكس ذلك راح يذمه بطيشه وغياب الحكمة فيه (الشافعي، 2018)، وقد يتحقق الوجود عند الشاعر عبر موقفه من عارض ما، كان الشاعر واعياً في تصويره، ومحاولاً إعادة تقييم موقفه أمام مواجهة ذلك العارض أو تلك التجربة، وهذا ما قدمه النص من توصيف لحال الشاعر ومحاولة استعطاف المتلقي، وتعميق الفكرة عنده، فإدراك اللحظة قد يكون عفويًا، لكن إعادة تقييمها له أبعاده وإيحاءاته، وعليه كانت التجارب عند الشعراء متقاربة المعنى؛ لكنها تحمل اتجاهات متضاربة على مستوى الخطاب وفنيته ومن ذلك قول الشاعر: (ابن الرومي، 2002)

فمالك تأسى الان لما رأيتها وقد جعلت مرمى سواك تعمد

حقق الشاعر في نصه عامة انتماءً وجودياً تداخل في أسلبة المحمول الفكري، ولوم النفس لتأسيها على تلك التجربة وذلك العارض، وهذا يجعل من الدلالات منقادة لذلك الزمن وتقلباته، واستغراق الشاعر بذلك الانقياد تحقق له القوة، وكأنه وصل إلى حال لا فرق فيه بين قوة وضعف، وهذه رؤية أيديولوجية سائدة واتكأ عليها عدد من الشعراء وقدموا صوراً جمالية لحال بائس، ولم يكن ليتعزز ذلك كله إلا بالوعي لتلك المواقف، والإحساس بوجود الذات لمواجهتها.

وينبجس ذلك كله من الواقع الذي قد لا يقدم نصاً ابداعياً، لأن الارتباط به يصبح ارتباطاً شكلياً، لكن الشاعر ارتبط به عن طريق وعي متجدد فرضته الظروف الراهنة التي يمر بها (العسل، 2007)، فضلاً عن الشكل التعبيري الذي يختاره الشاعر، ويثير فيه متلقيه محققاً وجوده بوعيه وإبداعه، ومشاركة متلقيه في صنع المعنى، فضلاً عن فريدة ذلك النص واكتنازه بالصور الجمالية والدلالات المتنوعة مع تباينه في منظومة الأنساق الثقافية التي ينتمي إليها كل من الشاعر والمتلقي، وهذا ما يميز الشعر عن غيره، ليس بالأفكار التي يحملها أو يعبر عنها والتي قد تتشارك بين الشعراء، بل في اللغة وجمالياتها التي يعدل عليها الشاعر ومتلقيه كذلك.

يقول (ابن الرومي، 2002):

تشكي إذا ما أقصدتك سهامها وتأسى إذا نكبن عنك وتكمد

يأخذ هذا اللوم والعتاب فاعليته من الانكسار النفسي، بعد تلك المواقف، وما آلت إليه تلك التجربة المعبر عنها بألم وشكوى، وتتغاير الذات بحسب ذلك كله، لتتسع دائرة التوصيف وتعمق الدلالات بحسب التاريخ أو التجربة التي تقصى تفاصيلها الشاعر، وغالباً ما تكون الأولوية لأشد المواقف تأثيراً، وتحقيقاً للوجود ، وعلى وفق ذلك تساوقت تلك الدلالات وتباينت وراوغ الشاعر متلقيه في كل صورة قدمها، وهذا هو أحد أوجه تحقيق الوجود، لأن الفكر متصل بالوجود وعاكس له، بل وقادر على كشف حقيقته بمجرد التأمل العقلي، وقدرة اللغة على التعبير عن تلك الحقيقة بوصفها تعبيراً عن الفكر من ناحية ودالة على الوجود من ناحية أخرى (إسماعيل، 2024)، وعلى وفق ذلك كان الوجود متحققاً في حركية المعنى وقولبته الفنية كما أشرنا، وبحسب أولويتها التأثيرية على الذات، وإذ يعيد الشاعر أنموذج الشكوى والتأسي على ما مضى فإنه في ذلك يجد عالمه المتخيل والمتحقق سابقاً، فالمزوجة بين ما مضى مع ما هو متخيل أو متصور يحقق وجوداً مطلقاً يسعى إليه الشاعر .

المبحث الثاني :

التمرد/كينونة الانفصال:

يكتنز ظاهر النص أحياناً بعدد من المناورات التي قد تبدو عصيبة عن إدراك المتلقي؛ لكنها في الحقيقة لعبة يوظفها الشاعر قد يحجب فيها تمرده، فيأتي النص بتحويلات دلالية قد يتعارض عدد منها مع النسق العام، أو الفطرة التي تتسلط على الشاعر وتسير حياته، دون رغبة منه أو قبول، فنجدته يتصل وينفصل مشتتا بين أنساق ثقافية، و نوازع وجدانية، ومن ذلك قول الشاعر: (ابن الرومي، 2002)

كفى حزناً إن الشباب معجل	قصير الليالي، والمشيبي مخلص
إذا حل جارى المرء شأو حياته	الى أن يضم المرء الشيب مخلص
أرى الدهر أجرى ليله ونهاره	بعدل فلا هذا ولا ذاك سرمد
وجار على ليل الشباب فضامه	نهار مشيب سرمد ليس ينفذ
وعزاك عن ليل الشباب معاشر	فقالو: نهار الشيب أهدى وأرشد
وكان نهار المرء أهدى لسعيه	ولكن ظل الليل اندى وأبرد

قد لا يتقضى المتلقي إحساسه بالحزن والألم، وهو يستكني النص ويتعمق في تفاصيله، لاسيما في موضوعة الشباب والشيب التي أسسها الشاعر على وفق تشكيلات متوافقة ومتخالفة في الآن ذاته، فبدا النص هيكلية مغايرة اخترق فيها الشاعر كوامنه، وتمكن من توصيفها، بعيداً عن المكابرة و التعالي فبدا متجرداً بين حياة منقولة عن عوالمها و حياة معيشة غير مألوفة، فأخذ التمرد أبعاده من ذلك بوصفه نشاطاً فكرياً له أسبابه ودواعيه، وعليه لا بد من تراكمية ذلك التمرد، وانعدام أنيته، فخضع الشاعر لقدره وأذعن لإرهاصاته؛ لكن التمرد جاء مخففاً من جِدّة ذلك الانكسار، ومحاولاً لملمة شتات الذات وصمودها أمام نوازع القدر، فقدم الشاعر حكيمته بقوله:

إن الشباب معجلة والمشيبي مخلص

انحرف الشاعر ليس بداع قسري، بل لمواجهة تلك الحتمية، وتطويعها لصالح الذات فاتسقت المواقع الدلالية على وفق خاصية التقابل ضمن جماليات الخطاب الشعري في تقصي أية دلالات يمكن لها أن تشكل مقابلة بين ثيمين:

المشيب	الشباب
مخلد	معجل
نهار المشيب	ليل الشباب
أهدى وأرشد	معاشر
نهار المرء	ظل الليل
أهدى	أندى وأبرد

وبؤرة الاستقطاب تكمن في التمرد عن طريق اسقاط ما هو حتمي وواقعي ولاحق_لابدٌ منه_ على ما هو جمالي وطارئ، وحتى مموه، ولا يلبث أن يزول ويتلاشى، وهذا هو معنى الكينونة التي تبدأ بالتفاعل مع الوجود، وحتى تشكيل الفوضى التي تختلقها تلك التساؤلات ومحاولة ضبط العلاقات بين المحورين، وهذا هو التبادل الذي يسعى الشاعر لتحقيقه في النص، ولعل الحركة والسيرورة والتغير هي سنة الحياة و الوجود للتدافع القائم بين السلبي والايجابي، والليل والنهار والحياة والموت فهي حركة دائرية تدور في حيزها الأحداث والأحلام دواليك مفضية الى التحول و التغيير، لعدم ثبوتها بل زوالها قريباً، لأن جوهرها قائم على العدم، فما كان كياناً وشاهداً يصبح طيفاً وخيالاً (حمدي، 2012)، ويعمل الشاعر ابن الرومي على تشغيل عناصر الحضور والغياب والوجود والعدم، لكن الشاعر يبحث في ذلك كله عن المطلق واللامحدود، فحاول إثبات التغير على وفق تجربته الخاصة فالشباب سريع، قصير الليالي يأتي ليغادرك، ويرحل لتتفقدته وتبحث عنه، ينفث فيه روح الحزن والحسرة على أيام خلت دون إدراك، أو تحقيق شيء بقي ولم ينجز، أما الشيب فهو تسلط جعل الشاعر يستدرك أي زمن، وأية لحظة لتقله وسطوته عليه، وعلى وفق ذلك اخترنت كثيراً من النصوص العربية هذه الفكرة، لأن القصيدة بوصفها عملاً فنياً تجسد لحظة فردية خاصة وهي في أوج توترها وغناها، هذه اللحظة تتصل_على الرغم من تفردها_بتيار من اللحظات الفردية المتراكمة الأخرى (العلاق، 2002)، لأن هناك وجعاً يجده الشاعر فلا مجال للتصنع والمكابرة، بل يسير كما سار قبله على طريق من الشكوى والتوجع، مع ان النص له موضوعه الجمالي المتفرد، وعليه شكلت اللوحة لوناً من الاتساق المعنوي واللفظي، تلاحم فيه التوتر والاضطراب بين استعادة وواقع، فأخذ الشاعر يصنع مفارقة فيها من الحزم و القوة، وهذه واجهة مباطنة لتجربة حافلة بالتنشيطي والضياع، ومع ذلك فهو مرغم على الاستمرار، ولا مناص من ذلك، وهذا أشبه بمعادل موضوعي للوجود الذي أطرّ له هايدجر "فالموجود البشري قد قذف به في العالم ضد إرادته، وأنه موجود في العالم دائماً، ووجوده ليس وجوداً مكانياً بل وجود قوامه الاهتمام بهذا الوجود والقلق عليه، لأنه وجوده هو لا يمكن أن يكون عالمه بدونه" (الحنفي، 1907، ص2-20)، وهذا ما حققته رؤية النص، إذ اخترقت النموذج المثالي لثنائيتي الشباب والشيب، ففتحت نافذة دلالية أطلت على زاويا جديدة في الذات وضعت رموزاً خاصة؛ لتخليق تلك الرؤية وتعزيزها، فأخذ الخطاب حالة شعرية محتمة، انكأَت على توتر واضطراب الذات الذي شكل

حافزاً مؤلماً مقدماً رؤية لماض سعيد أمام واقع ثقيل، وعلى وفق ذلك توالت الدلالات حتى شكلت شبكة تعبيرية مكتنزة ومن ذلك نسق العلاقات الزمنية بين الماضي والحاضر: كفى، حل، جارى، يضم، أرى، ينفذ وغيرها حاول الشاعر معادلتها نفسياً وفنياً على حد سواء. أعطى المستوى التعبيري تمويهاً عن حقيقة لاشك فيها وهو انتمائه إلى زمن أقل وانقضى، وفي هذا قد يجرب المبدع حريته الكاملة وفي هذه المواقف يتعايش مع المتناقضات في الحالات كلها، وعليها يستشعر في ذلك كله تناه للوجود والعبث الذي يعيشه في حضور ذلك الموت، ويحاول إخبار المحيط أنه ليس وحده، وقد يسيطر عليه ذلك الهاجس حتى يزيّف وجوده، ويفاضل بين المواقف ليختار من لها أثر فعال عليه (الحنفي، 2000).

وفي لوحه شعرية أخرى تأخذ الإشارات الرمزية كينونتها من إمكانية رصد تفاصيل الحالة الشعورية، والامساك بها، لتحديد المسار الدلالي للنص يقول (ابن الرومي، 2002):

أ أيام لهوي: هل مواضيك عود	وهل لشباب ضل بالأمس منشد؟
اقول وقد شابت شواتي وقوست	قناتي وأضحكت كذنتي تتخذ
ودب كلال في عظامي أدبني	جنيب العصا أناد أو أتأيد
وبورك طرفي فالشخص حياله	قرائن من أدنى مدى وهي فرد
ولذت أحاديثي الرجال وأعرضت	سليمى وريا عن حديثي ومهدد
وبدل إعجاب الغواني تعجبا	فهن روان يعتبرن وصدد

يستجيب الشاعر لنداء قلبه وشعوره، ويعلم ضعفه واستسلامه لعوارض القدر دون أي تردد أو كبت لتلك النوازع، بعد صمود ومكابرة أوصلتاه إلى عالم غامض حاول التمرد عليه وإقصاء لفكرة مسابرة وتقبله، إلا أن ذلك لم يعوض إحساس العدم الذي راود الشاعر بكل ثقله ومع ذلك حاول ضبط العلاقات الدلالية بين محوري الأزمة والتخالف، فاستقصاء الإشارات التي تبلورت في محور الشباب، والعودة إلى توظيف أسلوب الاستفهام الذي حقق مزيداً من التماسك لبنية النص الجمالية، فتشظى عن ذلك السؤال تقاعلاً ديناميكياً للذات و المتلقي على حد سواء، إذ قدم أسلوب الاستفهام مزايا عديدة أبرزها هو كشفه عن جوانب من ألوان الحس، وما يخطر في القلب مما يثيره الشاعر مستفهما حين لا يراد به الفهم (أبو موسى، 2011)، لعل هذا التحول بالمستويات الشعرية التي يؤسس عليها الشاعر شاعريته ماهي إلا وجه من أوجه الوجود وكيونته، فعزز الاستفهام بصيغتي الهمزة في قوله، أ أيام لهوي، وهل في قوله:

هل مواضيك عود هل لشباب ضل بالأمس منشد

فالممارسة الانشائية في الاستفهام قدمت مادة مناسبة استعرض فيها الشاعر عاطفته بتوصيف مفعم بالحسية لحالته وهو في الشيخوخة، وهذه المعاني نقلت بمحملها الفكري من الشعراء القدامى، ويبدو أنهم أعجبوا

بتلك المعاني أو أنها انسجمت مع واقع حياتهم، لاسيما ممن بلغ الكبر منهم، فافتتحو قصائدهم ببياء حار على الشباب الذي ودعهم بما فيه من حياة وحركة و عجائب تروق لهم، فسيتذكر ذلك بكل ما يستطيع لعل يدركه (عطوان، 1970)، وتلك الحياة هي ما تنقلها اللغة، وتلك التشكيلات التعبيرية التي انصاعت لدواخل الشاعر وأصبحت واجهة للوجود، وفي تماس مباشر معه، أما المعادل الموضوعي الحاضر في النص و الذي شكل تصعيداً نفسياً متوالياً هو الشيب، إذ غادر فيه متعته وأمله، لتدخل المحمولات السلبية التي انحازت إلى ايديولوجيا ماثلة تعمدتها الوجود عامة، فحملت عدداً من الدلالات تقرداً وتعال مع سطوة واكبت الشاعر في مرحلته هذه، ومن تلك الدلالات: (شابت شواتي، قوست قناتي، اضحت كدنتي، دب كلال في عظامي جنيب العصا)، ودلالات أخرى متعاقبة، اصطفت على وفق شبكة من العلاقات التي تداخلت بحسب تأثيرها ووقع فعلها السيكلوجي على ذات الشاعر ومعاناته التي تحققت من ذلك كله ، وقد تجاوز الشاعر في ذلك الأبعاد الزمنية والمكانية، ليؤسس رؤيته على شبكة معرفية كسر فيها النمط المألوف؛ ليتحول بالنص إلى إشكالية فكرية وجمالية متوازنة، فضلا عن محاولة الامساك بالطاقة الايحائية للدلالات، لاسيما في تزامم الجمل الفعلية التي وجهت الخطاب إلى فضاء أبعد أو مسار أكثر فعالية و من ذلك: (شابت، قوست، أصبحت، تتخدد دب، أدبني، أتأد، أتأيد)، فتحول الشاعر بدلالات الأفعال من منطقة تعبيرية محددة ارتكزت على توصيف حال الشاعر في كبره وشيخوخته إلى توصيف تجربته مع الآخر فنحا بدلالته الى رؤية الغواني له بعد الاعراض عنه وتجاوزه ، لكنه مع فزادة تلك التجربة عمد إلى احتضان المخيلة الجمعية التي قد تراود الشعراء في توصيفهم لحال الشيب والكبر عامة، وهذا من الابداع الذي يستثمره الشعراء مع ما يملك من إمكانات جمالية ومعرفية، لتشكل على وفق قانونها الخاص بها مما يجعلها تقع في صميم الفعل التأويلي، ومن ثمة فهي تتعاطى مع الفكر و الثقافة والمعرفة الانسانية وتعبر عن مسارات ابستمولوجية متعددة، مما يؤكد ان النص فوضى من الدلالات مرتبطة بوعي القارئ وحضوره الثقافي والذهني (عسال، 2014)، وهذا ما تحقق في نص ابن الرومي الذي الحتم الوجود بأوجه دلالية متوالدة، توالمت من استدعاء للذاكرة، وحتى توصيف الواقع المعيش ويظل في هذين المحورين جدلية متحققة ومطلقة لا نهاية لها.

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد رحلة ماثعة في مقدمة قصيدة "أبين ضلوعي" لابن الرومي توصلنا إلى جملة من النتائج، أبرزها:

1. يأخذ الوجود مكانته، وارتكازه بتحقيقه في عدد من الثوابت الذهنية التي يؤمن الانسان بها، وعليه تردد في نص ابن الرومي عدد من التدايعات التي شكلت لازمة فكرية تناوب الشعراء على تصويرها تحقيقاً للوجود.
2. يؤسس الشاعر في نصه لكينونة تتلبس بطابع الفنية، وإدراك لعدد من العناصر المحيطة التي تدفع بالشاعر نحو الابداع والفرادة، لتأثيرها عليها.

3. قد يحدد الشاعر هويته عبر انتمائه لزمن ما، وعلى وفق ذلك يفضي عليه أحواله، مواكباً لذلك الزمن، ويتضح ذلك عبر سلسلة من المستويات الشعرية التي تعكس أجواء ذلك الانتماء، فضلاً عن المضامين الفكرية التي تكتنز بها تلك اللوحات.
4. تمرد الشاعر على واقعه، وبرز ذلك في نسق مؤسلب غير مريح، عبر عن ذلك الشاعر بخياله وصدق مشاعره أمام الانفصال عن واقعه أو زمنه الحاضر.
5. أخذ عنصر الزمن حيزاً من شعر ابن الرومي، وكان هاجساً فاعلاً في حياته و إبداعه فضلاً عن تباين تداعيه على الشاعر بين حياة وقوة و تمكين أمام عجز وضعف وشكوى.
6. ارتكزت مقدمة دالية ابن الرومي على تأمل الشاعر لذاته والنظر ملياً في ما آل إليه حاله، وكان بمثابة الشاعر الذي يرثي ذاته.

قائمة المصادر والمراجع

- ❖ ابن الرومي. (2002). ديوان ابن الرومي (أحمد حسن بسج، محقق). (ط3). دار الكتب العلمية.
- ❖ إسماعيل، حسين حيدر علي. (2024). فعل الكينونة (The Verb to Be) وحقيقة الوجود عند بارمنيدس وصدر الدين الشيرازي. مجلة كلية الآداب. 84(3).
- ❖ حمدي، أحمد عدنان. (2012). التناص وتداخل النصوص: المفهوم والمنهج، دراسة في شعر المتنبي. دار المأمون للنشر.
- ❖ الحنفي، عبد المنعم. (2000). المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة. (ط3). مكتبة مدبولي.
- ❖ سارتر، جان بول. (2009). الكينونة والعدم: بحث في الأنطولوجيا الفينومينولوجية (بقولة متيني، مترجم). (ط1). مركز دراسات الوحدة العربية.
- ❖ الشافعي، الشافعي جلال. (2018). الشباب والشيب في شعر ابن المعتز: دراسة موضوعية فنية. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، 3(5).
- ❖ عسال، جويني. (2014). التجريد في النص الإبداعي عند أدونيس. أطروحة دكتوراه. جامعة العربي بن مهيدي.
- ❖ العسل، عصام. (2007). الخطاب النقدي عند أدونيس: قراءة الشعر أنموذجاً. (ط1). دار الكتب العلمية.
- ❖ عطوان، حسين. (1970). مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي. دار المعارف.
- ❖ العلاق، علي. (2002). الدلالة المرئية: قراءات شعرية في القصيدة الحديثة. (ط1). دار الشروق.
- ❖ العمري، زينب عبد العزيز. (1992). الشيب والشباب في الشعر العربي القديم. مجلة كلية الآداب، 1(2).

- ❖ مسعودي، سليمة. (2022). الكينونة والوجود وعالم الكلمات: مقارنة تأويلية للعلاقة الوجودية بين المعنى واللغة في الشعر المعاصر. مجلة القارئ للدراسات الأدبية والتربوية واللغوية. 5(3).
- ❖ الموسوي، سلام مهدي رضوي. (2022). فلسفة السؤال وسؤال الفلسفة في شعر عبد الباري: تمثلات الرؤيا وماهية المفهوم، مقارنة تأويلية. مجلة الدراسات المستدامة. 4(1).
- ❖ هايدغر، مارتن. (2015). الفلسفة، الهوية والذات (محمد مزيان، مترجم). (ط1). منشورات ضفاف.
- ❖ ويلسون، كولن. (2004). اللانتمني. (ط5). دار الآداب.

Bibliography of Arabic References (Translated to English)

- ❖ Al-‘Alaq, A. (2002). Al-dalalah al-mar’iyyah: Qira’at shi’riyyah fi al-qasidah al-haditha. (1st ed.). Dar al-Shorouq.
- ❖ Al-‘Asal, I. (2007). Al-khitab al-naqdi ‘ind Adonis: Qira’at al-shi’r namudhajan. (1st ed.). Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- ❖ Al-‘Umari, Zaynab. (1992). Al-shayb wa al-shabab fi al-shi’r al-‘arabi al-qadim. Majallat Kulliyat al-Adab, 1(2).
- ❖ Al-Hafni, A. M. (2000). Al-mu’jam al-shamil li-mustalahat al-falsafa. (3rd ed.). Maktabat Madbouli.
- ❖ Al-Hamdani, A. A. (2012). Al-tanas wa tadakhul al-nusus. Dar al-Ma’mun.
- ❖ Al-Mousawi, S. M. R. (2022). Falsafat al-su’al wa su’al. al-falsafa fi shi’r ‘Abd al-Bari. Majallat al-Dirasat al-Mustadamah, 4(1).
- ❖ Al-Shafi’i, J. (2018). Al-shabab wa al-shayb fi shi’r Ibn al-Mu’tazz. Majallat Kulliyat al-Dirasat al-Islamiyyah wa al-‘Arabiyyah, 3(5).
- ❖ Attwan, H. (1970). Muqaddimat al-qasidah al-‘arabiyyah fi al-shi’r al-jahili. Dar al-Maaref.
- ❖ Heidegger, M. (2015). Al-falsafa, al-huwiyyah wa al-dhat (M. Mzyan, Trans.). Dar Dafaf.
- ❖ Ibn al-Rumi. (2002). Diwan Ibn al-Rumi (A. H. Basaj, Ed.; 3rd ed.). Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- ❖ Ismail, H. H. A. (2024). Fi’l al-kaynuna wa haqiqat al-wujud. Majallat Kulliyat al-Adab, 84(3).
- ❖ Masoudi, S. (2022). Al-kaynuna wa al-wujud wa ‘alam al-kalimat. Majallat al-Qari’ lil-Dirasat al-Adabiyyah, 5(3).
- ❖ Sartre, J.-P. (2009). Al-kaynuna wa al-‘adam. (B. Metini, Trans.). Markaz Dirasat al-Wahda al-‘Arabiyya.
- ❖ Wilson, C. (2004). Al-lamantami. Dar al-Adab.